

محاضرات وندوات مصورة - الجزائر - مختلفة - محاضرة (١١) : لقطات وخواطر إيمانية
((المداهنة والمداراة)) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٣-١٠-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .
أيها الأخوة الكرام ؛ على غير عادتي أردت في مطلع هذا اللقاء الطيب الذي أشكر القائمين على هذا المسجد ، وأشكر الدكتور مصطفى الرحموني جزاه الله خيراً على دعوته للجزائر ، وأشكر كل من حضر .

تمهيد :

أقدم لكم نصاً دقيقاً جداً للملك لويس التاسع ، ملك فرنسا ، ماذا قال ؟ قال : لا يمكن الانتصار على المسلمين في الحرب ، وإنما نتصر عليهم باتباع مايلي ، هذا الكلام قيل قبل سبعمئة عام ، قاله لويس التاسع ملك فرنسا ، قال : إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، بهذه الطريقة نتصر عليهم ، عدم تمكين البلاد الإسلامية أن يقوم فيها حكم صالح ، إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء ، الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه يضحى في سبيل مبادئه ، العمل على الحيلولة دون قيام وحدة إسلامية في المنطقة ، العمل على قيام دولة غربية في المنطقة ، هذه قبل ظهور إسرائيل ، العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية ، هذا ما قاله لويس التاسع عشر قبل سبعمئة عام .

لذلك نحن بحاجة ماسة إلى الوعي ،
إلى وعي يجمعنا ، إلى إخلاص يدفعنا ،
إلى عودة إلى هذا الدين العظيم ، كي
نستحق وعود الله عز وجل ، الله عز
وجل يقول :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

[سورة النور الآية: ٥٥]



وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾

[سورة النور الآية: ٥٥]



المسلم معه منهج إن لم يطبقه لا يستحق وعد الله

فإن قصرنا في عبادته لا نستحق وعود الله الثلاث ، وهذا سؤال دقيق جداً ، لماذا نحن هكذا ؟ لماذا تفوق الغرب وتخلف المسلمون ؟ لأن المسلم معه منهج ، فإن لم يطبق هذا المنهج لا يستحق وعود الله إطلاقاً .

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من أن نصغي لهذه الحقيقة : إن لم تخطط يُخطط لك إن لم تكن رقماً صعباً في

خطة عدوك ، تكن رقماً سهلاً في خطة هذا العدو ، لذلك نحن في بلاد المسلمين ، أولاً يعني الحقيقة موقع هذه البلاد بأعلى مستوى ، فيها ثروات لا يعلمها إلا الله ويجمعهم هذا الدين واللغة والآلام والأمال ، كل مقومات الوحدة متوافرة عندنا ، ما بقي إلا أن ننهض ، وأن نتعاون ، حتى نستعيد لهذا الدين مجده ، وحتى نحقق وعد الله عز وجل .

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

[سورة الواقعة الآية: ١٣-١٤]

فيا أيها الأخوة الكرام ؛ أردت أن أبدء كلمتي بهذا القول ، هذا القول قيل قبل سبعئة عام ، قاله ملك فرنسا ، وبين أن الانتصار على المسلمين مستحيل إلا بهذه الأشياء التي ذكرها .

لقطات وخواطر إيمانية

الفرق بين المداهنة والمدارة

أيها الأخوة الأكارم ؛ الآن في الجزء قبل الأخير من القرآن الكريم هناك خواطر إيمانية ، كلمة خواطر إيمانية فيها أدب مع الله عز وجل ، لأن كلام الله لا يعلمه إلا الله ، أعلى فهم لكتاب الله ، نقول خواطر إيمانية ، كما قال الشعراوي رحمه الله تعالى : خواطر إيمانية .

مرة سُئل في لندن بما نلت هذا المقام ؟ قال : لأنني محسوب على الله ، جواب في منتهى التواضع والأدب .

أيها الأخوة ؛ في الجزء قبل الأخير لقطات وخواطر إيمانية في بعض الآيات ، من هذه الآيات قول الله عز وجل :

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

[سورة القلم الآية:9]

ما المداهنة ؟ ويقابلها المداهنة يقابلها المداراة ، ورد في بعض الآثار :

((بعثت لمداراة الناس))

ما المداراة ؟ وما المداهنة ؟ أولاً المداهنة بذل الدين من أجل الدنيا ، المداهنة ، أما المداراة بذل الدنيا من أجل الدين ، فأنت كمؤمن مأمور كما قال :

((بعثت لمداراة الناس))

مأمور بمداراة الآخرين ، يعني معاونتهم ، تقديم مساعدة لهم ، الإصغاء لهم ، حل مشكلاتهم ، من هنا يختلف المدرس عن المربي ، المدرس يلقي درسه ويمشي ، أما المربي يتفقد شأن هذا المربي ، أحواله ، دراسته ، وضعه المادي ، يحل لهم مشكلاتهم ، فنحن الآن بحاجة ماسة لا إلى مدرس يلقي الدرس ويمشي ، بحاجة إلى مربي ، وقد كان عليه الصلاة والسلام مربي لأصحابه ، أصحابه تخرجوا من مدرسته ، يعني مثلاً قد يمر المسلمون بوضع صعب جداً.

حين كان النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف ، ذهب إليها مشياً ، مشياً ثمانين كيلو متر ، وجبال ، فلما دعا أهلها إلى الإسلام ، رفضوا ، واستهزؤوا ، وكذبوا ، بل أغروا صبيانهم أن يضربوا النبي الكريم ، معه سيدنا زيد ، فلما أراد أن يرجع إلى مكة ، يقول له سيدنا زيد : يا رسول الله ، كيف ترجع إلى مكة وقد



المربي على درجة من المدرس

أخرجتك ، قال : إن الله ناصر نبيه ، أرايتم هذه الثقة بالله ، إلى هذه الثقة بالله ، إن الله ناصر نبيه .

فأنا أتمنى على كل أخ ، يعني أن يعتقد جازماً أن الله جل جلاله لا يتخلى عن عباده أبداً ، لا يتخلى .

لكن في حالة دقيقة ، يعني أب عنده أولاد ثلاثة ، ولد منغولي ، ولد ذكي جداً ومتفوق ، ولد ذكي ومقصر ، المنغولي ما في أمل تاركه ، والذكي المتفوق كمان تاركه ، يعالج من ؟ هذا الثالث ، الذي عنده إمكانيات عالية ومقصر .

أنا باجتهاد مني أرى أن العالم الإسلامي من نوع الثالث ، في تقصير ، هذه أمة القرآن ، هذه أمة اقرأ ، هذه أمة الوحيين ، ومع ذلك في تقصير ، الله عز وجل قال :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١١٠]

كلام دقيق ،

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾

لكن ما علة خيرتها يا رب ؟ قال :

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١١٠]

فهذه الأمة إن أمرت بالمعروف ، ونهت عن المنكر ، بعد إذ آمنت بالله ، هي حقيقة خير أمة ، ولكن إذا لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر ، قالوا : أوكان ذلك يا رسول الله

– يعني معقول – قال : وأشد منه سيكون ، قال : وما أشد منه ؟ قال : كيف بكم إذا أمرتم

بالمنكر ونهيتهم عن المعروف – فكأنهم صعقوا – قالوا : أوكان ذلك يا رسول الله قال : وأشد

منه سيكون ، قال : وما أشد منه ؟ قال : كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً))

[أخرجه زيادات رزين]



يعني أخطر حالة مرضية تصيب المسلمين تبدل القيم ، أنا لا أنسى أن سيدنا عمر أدخل شاعراً السجن ، قال بيت واحد ، نقاد الأدب عدوا هذا البيت أهجى بيت قالته العرب ، ما هذا البيت: دعي المكارم لا ترحل لبغيها وأقعد فإتك أنت الطاعم الكاسي

بربكم ، بلا مجاملة ، أليس هذا البيت

شعار للمسلم الآن ؟ يهمله دخله ، وبيته وتمتعه بالدنيا ، ولا يهتم بأمر المسلمين ، ولا يتحرك لقضية عامة ، ولا يعنيه الشأن العام إطلاقاً طبعاً أنا لا أعمم .

لأن مرة كنت في جامعة ، وأحد الطلاب الذين يؤدون دراسة دكتوراه ، يبدو في عبارته تعميم ، فقال له المشرف : وقف ، التعميم من العمى ، لا يعمم إلا أعمى .
والله عز وجل قال :

﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٩٩]

فإنه لا يعمم ، ولا المؤمن يعمم ، لكن في الأعم الأغلب .
فيا أيها الأخوة ؛ ينبغي أن نصل إلى النقطة الدقيقة ، ما هي المداهنة ؟ أن تبذل الدين من أجل الدنيا ، أن تقدم فتوى خاطئة ، أن تقدم فتوى تتملق بها القوي ، أن تقدم فتوى لا ترضي الله ، التملق هو مداهنة ، أما المداراة أن تقدم الدنيا من أجل الدين ، لك أخ أردت أن تعينه ببيت ، بنفقة ، بمعونة ، بتدريس ، بوظيفة ، أنت الآن تفعل شيء يرضي الله .
إذاً أول نقطة في هذا اللقاء الطيب : الفرق بين المداهنة وبين المداراة :

((بعثت بمدارة الناس))

المداراة من أخلاق المؤمن ، والمداهنة من أخلاق المنافق ، فلا تداهن ، يعني من أعان ظالماً ، جاء يوم القيامة مكتوب على جبينه آيس من رحمة الله ، وفي بعض الأقول : من أعان ظالماً سلطه الله عليه .



النقطة الأولى : لا تداهن ولكن داري ، داري من حولك ، تقديم معونة من أجل أن تشدهم إليك ، يعني مثلاً الله عز

وجل يقول ، وكلام دقيق :

﴿وَمَا يَجْرِمُكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[سورة المائدة الآية: ٨]

حتى لو أنك أمام إنسان تعتقد أنه كافر ، لا تحملك كراهيتك لهذا الإنسان أن تظلمه قال :

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

إن عدلت معه يمكن أن تستميل قلبه ، يمكن أن يسلم ، يعني أنا أذكر مئات القصص ، يعني بسبب موقف أخلاقي ، هذا الآخر أسلم .

فيا أيها الأخوة ؛ المؤمن الصادق همه الآخرون ، همه هدايتهم ، فلا بد من بذل شيء من الدنيا من أجلهم ، فإذا بذلت شيء من الدنيا من أجلهم استحققت عند الله عز وجل الرضوان .

أيها الأخوة ؛ الله عز وجل في الجزء التاسع والعشرين ذكر لنا أصحاب الجنة :

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾

[سورة القلم الآية: ١٧-١٨]

الفقراء بالعطاء .

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

[سورة القلم الآية: ١٩]



يعني أحياناً بوقت معين تتخفض الحرارة إلى ما دون الصفر ، المحاصيل كلها تتلف هذه طائف من الله .

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

[سورة القلم الآية: ١٩-٢٠]

في اليوم التالي :

﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ ائِدُوا عَلَىٰ حَرْتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾

[سورة القلم الآية: ٢١-٢٢]

فلما رأوها قالوا : إنا لضالون ، ليست هذه بساتيننا ، ما في شيء .

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ أَنَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا

ظَالِمِينَ﴾

[سورة القلم الآيات: ٢٧-٢٩]

أين الشاهد ؟ الشاهد :

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾

[سورة القلم الآية: ٣٣]

يعني يا عبادي كل أنواع العذاب التي أسوقها للناس من أجل أن ترجعوا إلي

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾

فهذا من حسن الظن بالله ، وهذا الشيء ينقلنا إلى موضوع دقيق جداً ، إنه موضوع المصيبة ، المصائب أحياناً تصيب الأنبياء ، لكن مصائب الأنبياء مصائب كشف لكمالهم .



((جاء ملك الجبال في الطائف ، قال :
يا محمد أمرني ربي أن أكون طوع
إرادتك لو شئت لأطبقت عليهم
الأخشبين ، قال : لا يا أخي ، اللهم
أهد قومي إنهم لا يعلمون))

بالمناسبة أختونا الكرام ؛ سيدنا رسول
الله في أثناء الهجرة جاء سراقا ليقتل
النبي أو ليقبض عليه ، لأن مائة ناقه

لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، وشيء في التاريخ ثابت ، قال له : كيف بك يا سراقا لو لبست سوار
كسرى ؟ نبي ملاحق ، مائة ناقه لمن يأتي به حياً أو ميتاً ينتقل من مكة إلى المدينة ، يقول
لسراقا : كيف بك يا سراقا إذا لبست سوار كسرى ؟ يعني أنا سأصل سالمًا ، وسأنشئ دولة ،
وسأؤسس جيش ، وسأحارب أكبر دولتين ، وسوف تأتيني كنوز كسرى ، ولك يا سراقا سوار
كسرى ، وهذا حصل ، حصل في عهد سيدنا عمر ، هذه الثقة بالله .

فأنا أتمنى من أختي الكرام ، أن تثق أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع عباده المؤمنين ، لكن
يمتحنهم ، لا بد من امتحان .

الإمام الشافعي رحمة الله تعالى سئل : يا إمام ندعو الله في الإبتلاء أم بالتكمين ؟ فابتسم ، وقال
: لن تمكن قبل أن تبئلي .

قصة للعبرة

أنا أخاطب إخواني الكرام ، وطن نفسك ، لا يمكن أن يصل أحد منا إلى الجنة دون أن يمتحن ،
يمتحن في ماله ، يمتحن في زواجه .

يعني أذكر مرة في بدمشق حي ، حي تراثي قديم فيه جامع اسمه جامع الورد إمام هذا الجامع ،
وليس من عادتي أبداً ذكر منامات ، بس اسمحولي مرة واحدة ، إمام هذا الجامع وخطيبه رأى
النبي عليه الصلاة والسلام ، قال النبي له في الرؤية : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة ، هو
الإمام ، هو الخطيب ، هو الذي دارس ، فصيح ، دارس شريعة ، وكل شيء ، وجاره بقال ، قل
لجارك فلان : إنه رفيقي في الجنة ، في اليوم التالي ذهب إليه ، قال له : لك عندي بشارة من
رسول الله ، ولكنني والله لن أقولها لك إلا إذا أخبرتني ماذا فعلت مع ربك ، ذهب إليه ، وألح
عليه ، امتنع أن يقول ، بعد إلحاح شديد قال له : تزوجت امرأة وفي الشهر الخامس من زواجي

، كان حملها في الشهر التاسع ، واضح ؟ قال له : بإمكانني أن أطلقها ، ولا أحد يسألني ، في خيانة لأنه ، بإمكانني أن أسحقها ، بإمكانني أن أفضحها ، لكنني أردت أن أحملها على التوبة ، فجاء لها بولادة ، ولدت غلاماً حملة تحت عباءته وتوجه إلى جامع الورد في هذا الحي ، وبقي خارج الجامع إلى أن نوى الإمام صلاة الفجر قال : الله أكبر ما في حدا ، فدخل ووضع الغلام في طرف المسجد ، الصغير ولد ليومه ، والتحق بالمصلين فلما انتهت الصلاة بكى هذا الصغير ، فتحلق المصلون حوله ، شيء عجيب طفل صغير ولدان حديثاً يعني ، فهو تأخر حتى ضمن أن كل من صلى الفجر جاء لي شاهد هذا اللقيط فاقترب قال : ما القضية ؟ قال : تعال انظر ، لقيط ، قال أنا أتكفله ، اعطوني إياه ، فأخذه وردته إلى أمه .
لذلك الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل الآية: ٩٠]

تطبيق المرأة عدل ، لكن الإحسان أرقى ، إذا بتقدر بكل حياتك تؤثر الإحسان على العدل تكون قريب من الله كثيراً ، قال له : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة .

المداهنة والمدارة

إخوانا الكرام ؛ إذا بدأنا بموضوع المداهنة والمدارة ، بقدر ما تستطيع داري إخوانك ابذل من دنياك لهم ، تقرباً لهم إلى الله ، وإياك أن تداهن ، إياك أن تبذل دينك من أجل دنياك . أيها الأخوة الكرام ؛ بماذا يجتهد الآخرون ؟ قال :

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُكَ خَلِيلًا ﴾

[سورة الإسراء الآية: ٧٣]



يعني كل ما يملك الآخرون غير المسلمين أن نعدل منهجنا قليلاً ، أن نفتري على الله غير هذا الدين .

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُكَ خَلِيلًا * وَكَلِمَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾

[سورة الإسراء الآية: ٧٣]

أيها الأخوة الكرام ؛ بالإسلام مافي مجاملة ، الحق لا يتغير ، ولا يتبدل ، ولا يساوم عليه ، الحق حق ، والباطل باطل ، فالإنسان حينما يتساهل ، ينتازل ، انتهى الدين ، الدين منهج خالق

الأكوان ، الدين من عند الرحمن الرحيم ، الدين من عند خالق الأكوان ، الدين توقيفي ، لكن ممكن نداري ، أن نبذل الدنيا من أجل الدين ، أما إذا بذل الدين من أجل الدنيا هذه المداهنة ، والله عز وجل قال :

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

[سورة القلم الآية:9]

أيها الأخوة ؛ ملمح في هذه الآية ، يعني أحياناً نقبل منك أن تكون مسلماً ، لكن هذا الموضوع عدله ، غيره ، بدله ، فالإسلام إسلام ، إسلام توقيفي ، لا يضاف عليه ، ولا يحذف منه ، لكن لو قال لي واحد كلمة تجديد ، إذا ما معنى التجديد ؟ في جواب دقيق جداً التجديد : أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، شوفي شطحات ، شوفي إضافات شوفي بدع ، هذا كله ينبغي أن ننزعه عن الدين .

يعني مرة في بناء أصبح أسود اللون ، بناء تراثي كبير في دمشق ، فجاءوا بشركة أجنبية ، وضربت هذا الحجر بالرمل ، فرجع لون الحجر الناصع الأبيض ، أنا أقول هذا هو التجديد ، أن أنزع عن هذا الحجر المادة السوداء التي علقت به مما ليست منه .

ووطن نفسك ، في تجديد ولكن لا يضاف على الدين شيء ، ولا يحذف منه شيء لأنه توقيفي ، بل التجديد أن أنزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه .

أيها الأخوة الكرام ؛ في دعاء قرآني يقول الله عز وجل :

﴿رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

[سورة الإسراء الآية:80]

يعني لو تحاورنا مع بعضنا ، ماذا يمنع أن تكون الآية : ربي اجعلني صادقاً ، لماذا أدخلني وأخرجني ؟ في ملمح دقيق جداً بالآية وهو : أن الإنسان قد يقدم على عمل والنية طيبة وهو ضمن العمل تلوح له الدنيا ، يظنك هذه المستشفى أساسه الإحسان للفقراء ، حينما تأتيه الغلة والأموال بين يديه يرفع السعر ، بدأ صادقاً لكن ما خرج



منها صادقاً ، فهذا الملمح بالآية دقيق جداً بالتعليم ، بالطب ، بأي شيء ،

﴿ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

أنا أقول دائماً : أن تصل إلى القمة عمل صعب جداً ، ليس سهل ، يعني طريق وعر ، في غبار ، في صخور ، في تلال ، في حفر ، في مشقة ، في تعرق ، طريق القمة وصلت إلى القمة ، في

خطر كبير ، الخطر أن تصاب بالغرور ، أو أن تعجب بنفسك الطريق إلى الهاوية يعني بالتعبير المعاصر سيراميك مع صابون ، رأساً تنزل ، فالبطولة إن وصلت إلى النجاح أن تبقى فيه ، ولا تبقى في هذا النجاح إلا إذا كنت موحداً ، ولا تبقى في هذا النجاح إلا إذا كنت مؤمناً ، ولا تبقى في هذا النجاح إلا إذا عزوته إلى الله عز وجل .



يعني قبل ساعة أو ساعتين ذكرت للأخوة الكرام ، في القرآن آيتين ، أو الآية الوحيدة :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد الآية: ١١]

شرح الآية : أيها الأخ الكريم ؛ أنت مرتاح ، صحتك جيدة ، دراستك جيدة ، بيتك منتظم ، معاشك يكفيك ، أولادك

أبرار ، زوجتك سالحة ، نعمة كبيرة ، لا تغير ما بغير ، كلام واضح ؟ لا تغير ما بغير ، ما دمت في بحبوحة ، وفي توفيق ، وفي صحة ، وفي دعوة ، وفي عمل صالح ، وفي خدمة ، وفي تواضع ، لا تغير الله ما بغير ، حتى تطمأن ، ما في مفاجئات الدليل :

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

[سورة التوبة الآية: ٥١]

لن ، في لتأييد النفي بالمستقبل ،

﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾

ما قال علينا الفرق كبير ، لنا شيء إيجابي ، أما علينا شيء سلبي .

﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾

[سورة التوبة الآية: ٥١]

إذاً لا تغير الله ما بغير ، هذا الكلام لطالب ، لزوج ، لزوج ، لتاجر ، لموظف لصانع ، لطبيب ، أي حرفة ، وأي هوية ، وأي مرتبة ، وأي شريحة ، لا تغير ما بغير ، في مشكلة ، في دخل قليل ، في دخل أقل من الحاجة ، في زوجة سيئة ، في بالعمل واحد أعلى منك يتقن بظلمك ، في مليون مشكلة ، المقولة الثانية : غير لغير ، الأولى : لا تغير ما بغير الثانية : غير لغير .

فكل واحد من الأخوة ، وأنا معكم ، في عندي مشكلة ، بحاول غير ، أرفع مستوى عبادتي ، ادفع صدقة ، ألزم درس العلم ، أعمل أعمال سالحة ، أكون بار بمن حولي حتى الله يغير ، غير

لغير ، إذا أنا بحبوحه ، وما عندي ولا مشكلة ، لا تغير من تواضعك ما بيغير ، لا تغير من طاعتك ما بيغير ، احفظوا هذه الكلمتين : غير لغير ، لا تغير ما بيغير .

تعظيم خالق الأكوان

أخوانا الكرام ؛ في سورة الحاقة :

﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾

[سورة الحاقة الآيات: ١-٣]

الآية معروفة يقول :

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُمٌ أَفْرَعُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ * خُدُوهُ فَعُلُوهُ * ثُمَّ جَحِيمٌ صَلْوُهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾

[سورة الحاقة الآيات: ١٩-٣٢]

الآن انتظروا الشاهد :

﴿إِنَّهُ كَانَ لَأَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الحاقة الآيات: ٣٣]

تحت العظيم ثلاثة خطوط ، إبليس آمن بالله ، الدليل :

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾

[سورة ص الآية: ٨١]

آمن به رباً ، آمن به عزيزاً ، آمن بالآخرة ، قال :

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٤]

لكن ما آمن به عظيماً .

﴿إِنَّهُ كَانَ لَأَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الحاقة الآيات: ٣٣]

التركيز على كلمة عظيم ، فلذلك أنت إذا تفكرت في خلق السماوات والأرض عرفت عظمة الله ، قال تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٩٠-١٩١]

إذا ينبغي أن تؤمن بالله العظيم .

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

[سورة نوح الآية: ١٣]

لمَ لم تعظموه ؟ .

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

[سورة نوح الآية: ١٤]

تقول أنت اليوم عشرات المرات الله أكبر ، ما معنى الله أكبر ؟ إذا شغلت عن الصلاة من أجل المال ، الله أكبر من المال ، من أجل لقاء الله أكبر ، كلمة الله أكبر أكبر من كل شيء ، بل أكبر مما عرفت ، مهما عرفت الله فهو أكبر ، أكبر مما عرفت ، فلما الإنسان يعني سامحوني بهذه الكلمة ، إذا أطاع زوجته وأسخط ربه دون أن يشعر ، رأى زوجته أكبر من الله ، لأنه أطاعها وأغضب الله ، إذا أطاع من فوقه وعصى ربه ، رأى من فوقه أكبر من الله ، كلمة الله أكبر شيء يخوف ، أنت حينما تؤثر شيئاً دون الله على مرضاته ، ما قلتها ولا مرة ولو رددتها بلسانك ألف مرة ، لو قلت ألف مرة الله أكبر ، إذا آثرت مخلوقاً وأرضيته وعصيت خالقك ، ما قلتها ولا مرة ولو رددتها بلسانك ألف مرة ، هذه حقيقة مرة ، ومؤلمة نحن بالعيد الله أكبر بنقول ، بعيد الأضحى نكبر دائماً ، لكن لما يكون في مصلحة أن تشتري شيء ما يرضي الله عز وجل . قال مرة واحد : هذه الشركة من أجل أن تقبل أن تكون وكيلها ، بدي كون وكيل كمان مادة كحولية ، يعني شيء عال والله ، ما رأى الله أعظم من الأرباح كلها . ففي اللحظة التي ترى شيئاً دون الله وتطيعه بمعصية الله ، أنت في الحقيقة ما رأيت الله أكبر ، رأيت هذا الإنسان أكبر من الله .

فلذلك الدين من أجل أن نقطف ثماره ، نحتاج على جهد كبير ، ليس جهد مستحيل بس كبير ، يعني من طلب الجنة من دون عمل فهذا الطلب ذنب من الذنوب . إخوانا الكرام ؛ الله عز وجل أيضاً في هذا الجزء قبل الأخير من القرآن ، لو واحد سأل أن موضوع الدرس ، خواطر حول آيات من الجزء التاسع والعشرين ، وصباحاً كنا في درس خواطر حول آيات الجزء الثلاثين ، فمن هذه الخواطر :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية: ١٩]

هكذا خلق ، خلق هلوع يعني جزوع ،
والله فسرها ، قال :

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

[سورة المعارج الآية: ٢٠- ٢١]



إذا في مال يمسك ، في مصيبة ينهار، قاله الطبيب لمريض : مرضك يعني ممكن يعيشك أربع أشهر ، فانه علاقاتك ، مات ثاني يوم ، ما تحمل ، جزوع الإنسان ، لذلك أنا ادعو لكم ولي أن يجنبنا الله عز وجل من عضال الداء ، وشماتة الأعداء ، والسلب بعد العطاء أشياء لا تحتمل .
فالنقطة الدقيقة :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

شديد الخوف :

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

[سورة المعارج الآية: ٢٠- ٢٢]

فالمصلي ليس جزوعاً ولا منوعاً ، لكن الآية تعرفونها :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾

[سورة المعارج الآية: ٢٣- ٢٨]

إلى آخر الآيات .

شيء آخر : الذي يتوهم أن الإنسان خُلِقَ عَبثًا قال تعالى :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ١١٥- ١١٦]

أيها الأخوة الكرام ؛ أرجو الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق والنجاح في شتى الميادين وأن يحفظ لكم إيمانكم ، وأهلكم ، وأولادكم ، وصحتكم ، ومالكم ، واستقرار بلادكم .

والحمد لله رب العالمين